

ألف حكاية وحكاية (١٠)

انفجار فى معمل

وحكايات أخرى
يروئها

يعقوب الشارونى



مكتبة مصر
٢ شارع كابرودي قى
١٠ الخيال - القاهرة

رسوم
عبد الرحمن بكر

جحا والعمدة المريض

مرض عمدة القرية التي يعيش فيها جحا، وكان رجلاً ظالماً قاسياً واستدعى عدداً كبيراً من الأطباء، وتناول كثيراً من الأدوية. ورغم هذا، فقد اشتد عليه المرض، واتضح أن العلاج لم يعد ينفعه. عندئذ فكر أحدهم في استدعاء جحا، فقد سبق أن أنقذت ناصحه عدداً كبيراً من المرضى.

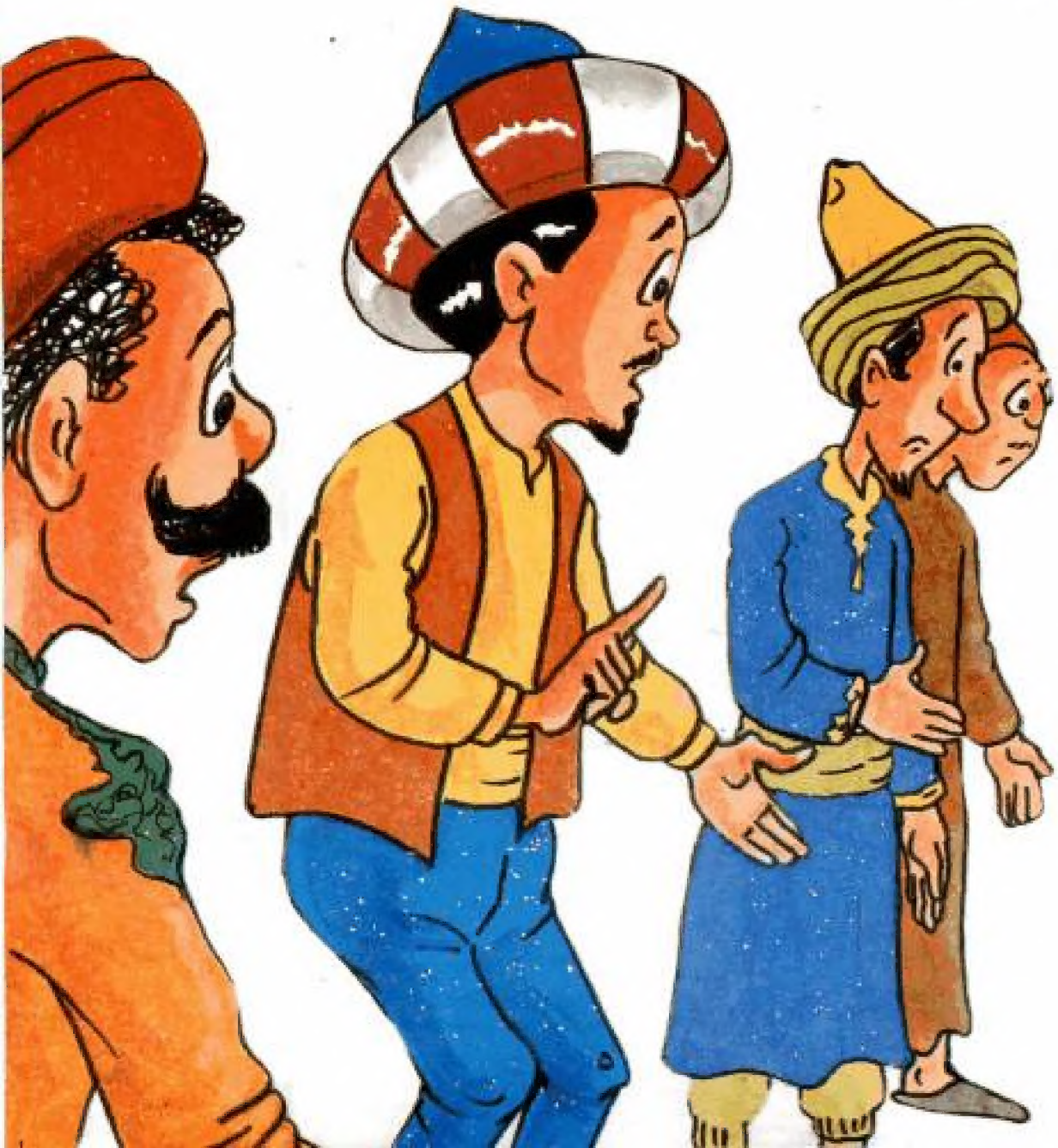
وصل جحا، وعندما شاهد العمدة مستلقياً على فراشه، التفت إلى المحيطين به، وقال في صوت يعبر عن الضيق الشديد: "الأطباء يمكن أن يساعدوا الأحياء فقط على الشفاء، وأنتم تطلبون مني مساعدة رجل ميت!"



وفى انزعاجٍ صاحَ أفرادُ الأسرة:
"ولكنّ .. ألا ترى أن العمدة لا يزالُ حيًّا؟!"

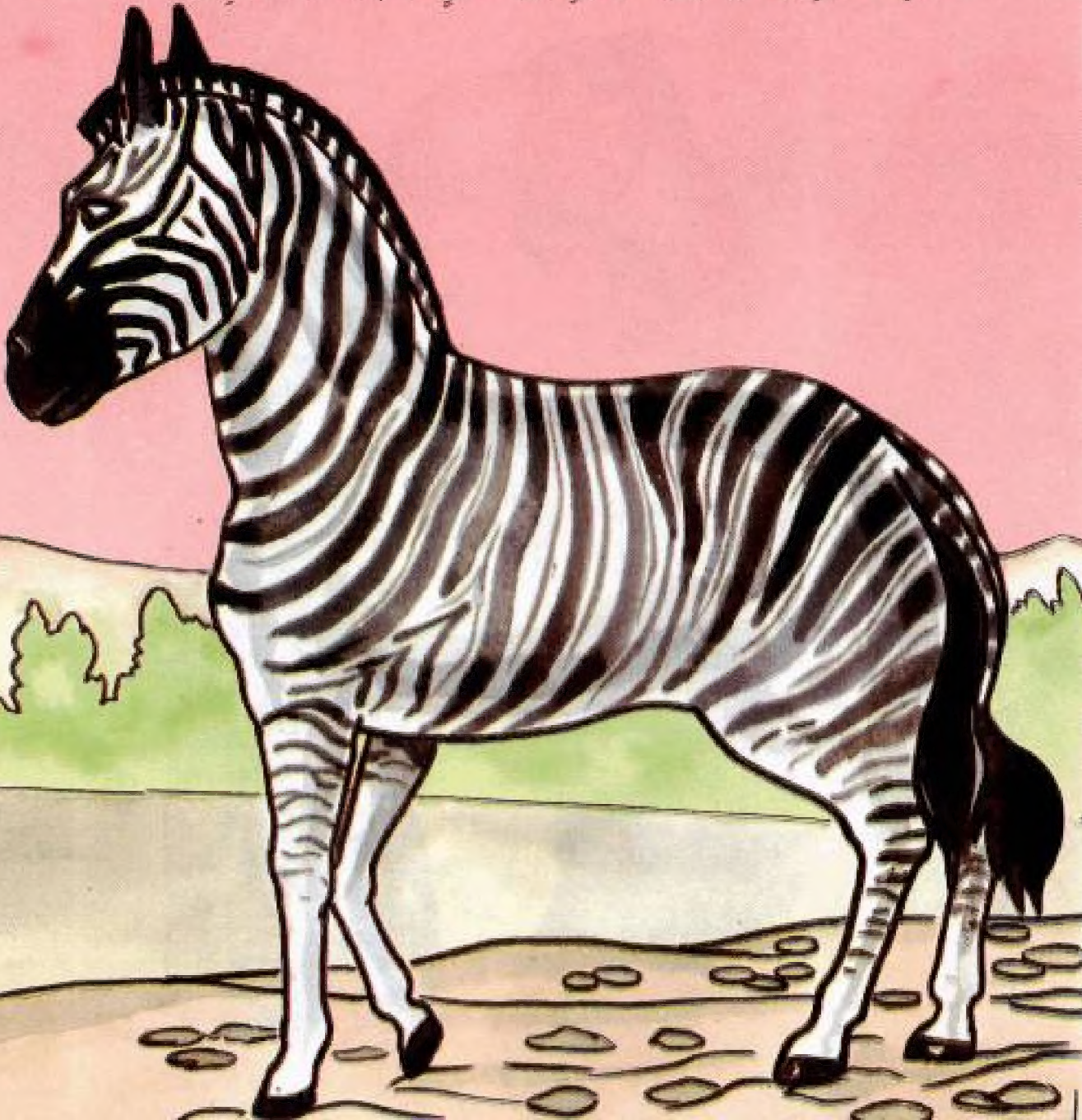
قالَ جحا:

"هذا صحيحٌ .. عندَ النظرةِ الأولى لا يبدو أنه ميتٌ، لكنّ كلَّ
الناسِ يقولون إنه رجلٌ لا قلبَ له، فهل تستطيعون أن تخبروني كيف
يكون حيًّا؟"



الحمار الوحشى وحمار العمل

ذاتَ صيفٍ شديدِ الحرارة، جفَّتِ الحشائشُ فى الغابة. ولم يجدْ حمارُ الزرد الوحشى طعامًا يأكلُهُ، فانطلقَ فى سبيله حتّى وصلَ إلى قريةٍ صغيرة، ودخلَ أولَ طريقٍ صادفَهُ فيها، فوجدَ أمامَهُ حمارًا من حميرِ العمل، ينامُ على الأرضِ فى كسلٍ أمامَ بيتِ صاحبه.



اقترَبَ الحمارُ الوحشيُّ من حمارِ العملِ، وقالَ له:
"تبدو عليك السعادةُ أيُّها الحيوانُ، فأنت تنامُ ولا تحملُ همًّا
للطعام، ولا تخافُ حيواناتِ الغابةِ المتوحشةِ. إنني أحسدُكَ."
وبعدَ عدَّةِ أيامٍ، كانَ الحمارُ الوحشيُّ يتمشَّى قربَ نفسِ القريةِ،
فشاهدَ حمارَ العملِ يحملُ فوقَ ظهرِهِ حملاً ثَقِيلاً، وصاحِبُهُ يضربُهُ
بعضاً غليظةً ليسرَعَ في سيرِهِ. عندئذٍ قالَ الحمارُ الوحشيُّ لنفسِهِ:
"لا يا صديقي، لن أحسدُكَ بعدَ الآنَ، فإنني أراك تدفعُ ثمنًا غالياً
لما ظننتُ أنك تتمتعُ به من مزاياء!!"



المعونة الوحيدة

سافر صديقٌ لى بسيارته فى يومٍ شديدٍ الحرِّ. وبينما هو فى الطريق، ثَقِبَتْ إحدى عجلاتِ السيَّارة، فتوقَّفَ لِيُغَيِّرَهَا، ويضعَ بدلاً منها عجلةً أخرى. وفى أثناء ذلك، مرَّ به شيخٌ قروىٌّ على حماره، فوقفَ بالقربِ منه، وقالَ له بلطفٍ:

"هل أستطيعُ أنْ أقدمَ لك معونةً؟"

فرفعَ صديقى رأسه إليه، والعرقُ يتصبَّبُ من جبينه، وقالَ له:

"أشكرُكَ، لستُ أريدُ معونةً أحدٍ!"

ثمَّ عادَ فانحنى على العجلةِ ليربطَ مساميرَها. فلما رفعَ رأسه بعدَ أن فرغَ من عمله، رأى الشيخَ لم يزلْ واقفاً إلى جانبه، وفى يده مظلةٌ يُظِلُّ بها عليه ليحميه من الشمسِ المحرقة. فلما التقتَ أعينُهما، قالَ له الشيخُ وعلى فيه ابتسامةٌ لطيفةُ:

"لقد خفْتُ عليك يا بُنى أنْ يؤذيكَ الحرُّ الشديدُ فى هذا اليومِ القائنِ، فوقفْتُ أظللُكَ. إنَّها المعونةُ الوحيدةُ التى أستطيعُ أنْ أقدمَها لك فى هذا المكانِ، وإنْ لم تكنْ بحاجةٍ إلى معونتى!"

قالَ الشيخُ هذا، ثمَّ وثبَ إلى ظهرِ حماره، وتركَ صديقى واقفاً إلى جانبِ سيارتهِ، يكادُ يقتلهُ الخجلُ من خشونةِ ردِّه على الشيخِ، ومن لُطفِ الشيخِ معه!

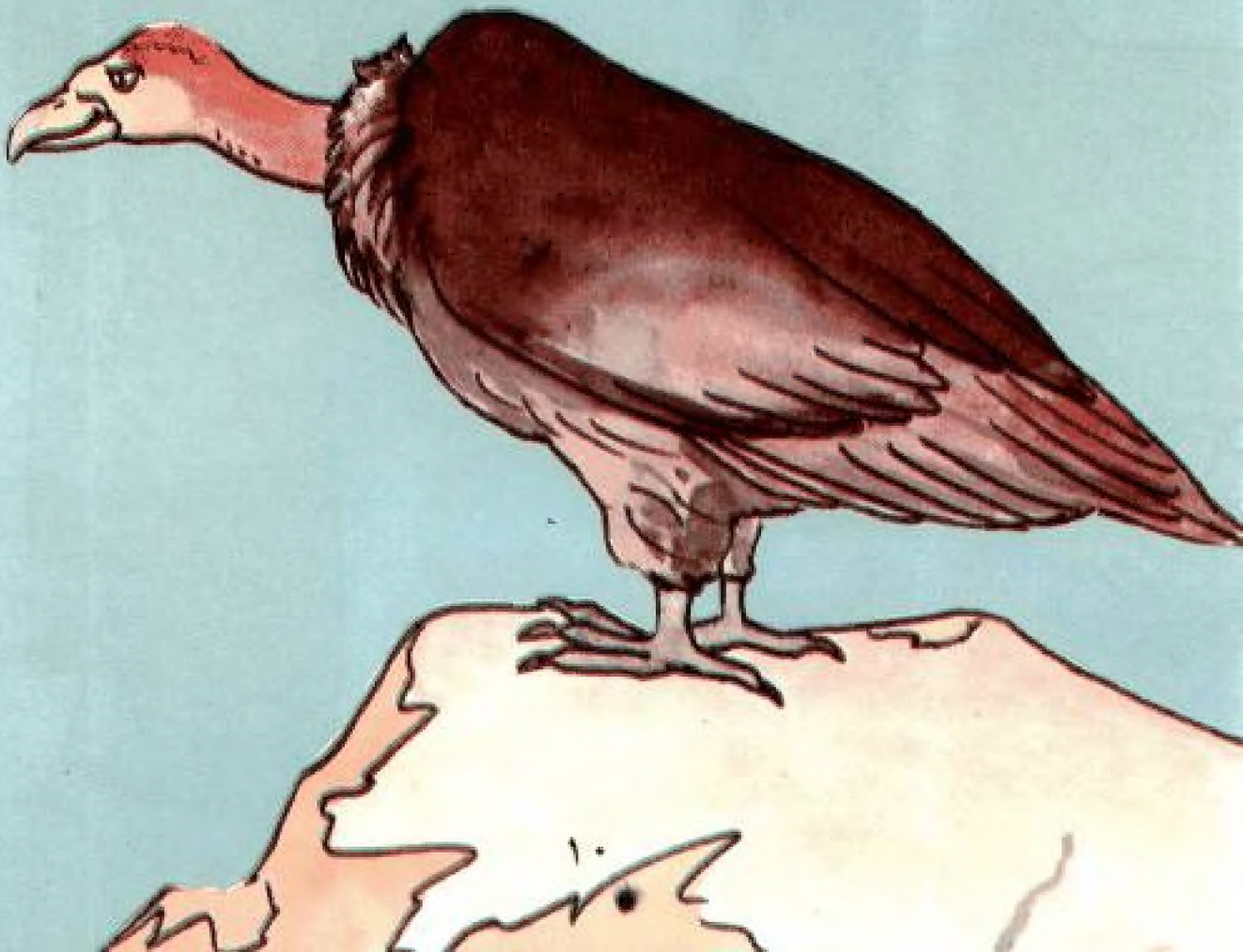


ابن النسر

أصبحت أنثى النسر عجوزاً يرهقها الطيران. وحاولت يوماً أن تطير، فارتفعت في الجو مدة قصيرة، وسرعان ما نزلت على صخرة فوق الجبل، وقالت:

"لقد أحسست بالتعب .. يجب أن أستريح قليلاً."

ومضت لحظات طويلة، لكنها لم تشعر باستعادة نشاطها. وفي هذه الأثناء، كان ابنها يطير عاليًا، وشاهد أمه، فنزل بجانبها، ورفض أن يتركها ويطير. لكنها لم ترض عن هذا التصرف،



فقد أدركت أن مصاحبة ابنها لها ستعطله عن التدريب على الطيران،
فقالت له:

"ارجع يا عزيزي، وارتفع عاليًا نسيطًا في السماء. وعندما أرى
قدرتك وتفوقك، سأستعيد سعادتي وأرتاح."

عندئذ اندفع النسر الفتى إلى الفضاء، يطير في حرية وبسالة.
ونظرت أمه إليه، فامتألت سعادة، ثم وجدت في نفسها قدرة على
الحركة، فطارت خلف ولدها، وبقيت محلقة دون أن يدركها التعب.

سمع رجل حكيم هذه القصة، فقال:

"إذا أحسن من تقدمت به السن بالعجز، فأسهل سبيل إلى
استعادة قوته والتغلب على عجزه، أن يراقب الشباب، ويشعر
بحماسهم، ويشاركهم آمالهم وطموحهم."



الحمار والتمثال

يُحكى أنه فى إحدى مدن الهند تم وضع تمثال مقدس على ظهر حمار، وأنهم اخترقوا به الشارع الرئيسى فى مدينة كبيرة. وتجمع الناس من كل القرى المجاورة ليشاهدوا الموكب، وهم يتدافعون ويتزاحمون، ليفوزوا بمكان قريب من الحمار، فيشاهدوا التمثال عن قرب.

وعندما كان الحمار يمر بهم، كانوا ينحنون تحية للتمثال، وبعضهم مدّ يده ليلمسه:

وهكذا بدأ الحمار يحس أنه حيوان مهم جداً. قال لنفسه: "ما أروع كل هذا الاحترام الذى يُظهرونه لى! لم أعرف قبل الآن مدى تأثيرى فى الناس. كم كنت متهاوناً فى حق نفسى، عندما كنت أخضع فى كل حياتى السابقة لأوامر صاحبي." وهكذا قرّر الحمار أن يستخدم سلطانه، فقال لنفسه:

"الحقيقة أنه لم تعد بى رغبة فى السير أبعد من هذا .. سأوقف هنا لأعطى الناس فرصة لإظهار إعجابهم بى." وهكذا رفض الحمار أن يتقدم خطوة أخرى.

لكن ضربة مؤلمة نزلت في الحال على ظهره، بينما صاح صاحبه

غاضباً:

"هيا! سر. ماذا تقصد بتعطيل الموكب بهذا الشكل؟"

أجاب الحمار غاضباً:

"إنني أعطي هؤلاء الطيبين الفرصة ليتطلّعوا إلى طلّعتي!"

عندئذ ضحك سيده، وقال وهو يجذب الحمار من رباطه:

"يا لك من حيوان غبي! إن هؤلاء الناس لا يهتمون بك،

بل حضروا لمشاهدة التمثال الذي تحمله على ظهرك. هيا تقدّم

أمامي قبل أن أغضب عليك أكثر من هذا. فتحسّ بطعم العصا مرة

ومراتي."



انفجار في معمل

في فترة من حياته، عمل عالم الكيمياء الفرنسي الشهير "لافوازيه" مشرفاً على إنتاج البارود، الذي كان الجيش الفرنسي في حاجة إليه.

و ذات يوم، كان لافوازيه، الذي وُلد سنة ١٧٤٣ وعاش حتى سنة ١٧٩٤، يقوم بإحدى التجارب على مادة خطيرة، لاختبار مدى صلاحيتها لتستخدم في المفرقات، وكانت زوجته تساعدُه هي وثلاثة من معاونين.

وفجأة حدث انفجار في المعمل، تسبب في وفاة اثنين من معاونين، ونجا لافوازيه وزوجته من الموت بمعجزة. لكن هذا الحادث لم يؤثر في حماس لافوازيه للعلم والتجارب، بل كتب إلى وزير الملك، مؤكداً استعدادَه للتضحية والفداء من أجل بلده، فقال:



"إذا تكررتم وعرضتم خبر هذا الحادث المؤسف على الملك،
وبيئتم الأخطار التي تعرضت لها، فإنني أرجوكم أن تنتهزوا هذه
المناسبة لكي تؤكدوا لجلالته أن حياتي فداءً لوطني، وأنني سأظلُّ
دائمًا على استعدادٍ للتضحية بها في سبيل المصلحة العامة،
وسأواصلُ التجاربَ على المادةِ المفرقةِ نفسها، أو على أيِّ مادةٍ
أخرى يكونُ جيشُ بلادِي في حاجةٍ إليها."



الفانية والباقية

فى زمن هارون الرشيد، كان هناك لصٌ قاطعُ طريقٍ اسمه "أبو
على الفضيل"، تابَ وأصبحَ صوفيًّا.

وقد استدعاهُ الرشيدُ، وقَدَّمْ لَهُ هَدِيَّةً ثَمِينَةً من الذهبِ والمالِ،
فرفضها، فقالَ لَهُ الرشيدُ:

"يا أبا الفضيل .. ما أزهذك الآن!"

أجابَ أبو الفضيل:

"أنتَ أزهدُ مِنِّي يا أمير المؤمنين."



فقال الرّشيدُ:

"وكيفَ ذلكَ يا أبا الفضيل وأنتَ رجلٌ صوفيٌّ؟!"

فأجابَ أبو الفضيلُ:

"ذلكَ لأنّي أزهدُ في الدُّنيا، وأنتَ تزهدُ في الآخرةِ .. والدُّنيا

فانيةٌ، والآخرةُ باقيةٌ."



فى متحف الشمع

زار الكاتب الأمريكى المشهور "مارك توين" متحف الشمع فى لندن، ووقف فترة طويلة ساكناً أمام تمثال مُتَقَنٍ من الشمع يتأملُهُ، وفجأةً انتبه على دفعة مفاجئة فى جانبه، فاستدار ليجد نفسه وجهاً لوجهٍ أمام سيدة إنجليزية صامتة، وطرفاً مظلَّتها لا يزال فى جنبه. وفجأةً صاحَت السيدة قائلةً: "يا إلهى!! إنه تمثال حى!!" ثم أسرعَتْ تجرى مبتعدةً.



بعض قصص هذه المجموعة تم اختيارها وإعادة صياغتها،
من الأدب الشعبى، والعربى القديم، والعالمى.